المبادرة في القرآن الكريم

م.م. زينب سلمان داود

وزارة التربية

الملخص:

إنّ غياب الإرادة الثابتة المطمئنة التي من شأنها أن تحدث مجتمعاً لا نظير له، وغياب العقول التي تبادر بالحلول إشكالية تبتغي حلا أو معالجة والنصوص القرآنية هي معالجات نصية إذا ما طبقت على الواقع، وهذا ما اقتضته الإرادة الربانية، ومن المفاهيم التي احتوتها نصوص القرآن مفهوم المبادرة، فقد وردت مضامين هذا اللفظ بألفاظ، منها: التسابق، والمسارعة، والمنافسة، والأولية في الطاعات، حاولت الباحثة جاهدة إبراز مضامين خطاب الله تعالى للبشر بالارتقاء نحو الإنجاز، نحو الهدف السامي، وهو رضا الله تعالى.

The Initiative in the Koran

A. Assistant Zainab Salman Dawood
Ministry of Education

Abstract:

Ms. researcher report that the absence of reassuring fixed will that would occur a society that is unmatched, and the absence of brains that initiates solutions problematic, seeking a solution or remedy Koranic texts are text processors if applied on the ground, and this is what necessitated will of the Lord, and concepts that Ahtutea texts Koran concept of the initiative has received the contents of this term, including the wording of the race and quickly, competition, and in the initial acts of worship, the researcher tried hard to highlight the contents of the speech of God to human beings towards upgrading the achievement, toward the lofty goal of which is the approval of God Almighty

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس.. وعلى آل بيته الطيبين واصحابه المنتجبين.

أما بعدُ؛ فإنّ ما تمر به أمة الإسلام من مشكلات.. وتراجع على الأصعدة كافة.. بما في ذلك غياب الإرادة الثابتة المطمئنة التي من شأنها أن تحدث مجتمعاً لا نظير له ، غياب العقول التي تبادر بالحلول، ومن ثم الاكتفاء بالتنظير لإشكاليات الواقع.. كلها أسباب تجعل بنا حاجة للمبادرة.

فللمبادرة أهمية كبرى صوب إصلاح الناشئة وتربيتهم على السبق لتحقيق الإنجاز وأن يكونوا في الطليعة شأنهم في ذلك شأن الأولين ممن كانت لهم الريادة، فالنصوص القرآنية هي معالجات نصية إذا ما طبقت على الواقع، ومن المفاهيم التي احتوتها نصوص القرآن مفهوم المبادرة فقد وردت مضامين هذا اللفظ بألفاظ منها التسابق والمسارعة والمنافسة والأولية في الطاعات، ووردت أيضاً بمعنى العجلة التي هي مبادرة سلبية وهذه الأخيرة ليس فيها جزاء ولابأس بالإشارة إليها ضمن الألفاظ ذات الصلة فإننا بصدد دراسة المبادرة الإيجابية كونها صفة الأوائل ممن حباهم الله بالدرجة والمنزلة ، وقد قسمت بحثي المتواضع على ثلاثة مباحث تتضمن مطالب عدة فالتعريف اللغوي والاصطلاحي للمبادرة، والألفاظ ذات الصلة ، فهذا هو المبحث الأول ومن ثم موجبات المبادرة وتتضمن ثلاثة مطالب وهو المبحث الثاني وما يترتب على المبادرة من أثر ويتضمن مطلبين وهو المبحث الثالث ومن ثم الخاتمة وأهم النتائج.

المبحث الأول/ مفهوم المبادرة والألفاظ ذات الصلة:

المطلب الأول : المبادرة لغة واصطلاحاً:

المبادرة لغة: بَدَر إلى الشي، أسرع ، و(بادَرَ) إليه أيضاً، وتبادر القوم تسارعوا[١]. وبادرت إليه، تقدمت إليه ، وبادرت الشيء مبادرة وبداراً ، أي عاجلته[٢]. وبدرني بالأمر، وبدر إلي ، عجل إليَّ واستبق. وابتدر القوم أمراً وتبادروه، أي نادوا بعضهم بعضاً أيهم يسبق إليه فيغلب عليه[٣]. وبدر إليه ، استعمل غاية قوته وقدرته على السرعة[٤].

المبادرة اصطلاحاً: قيل البادرة: هي النكتة التي يبادر بها الإنسان لحسنها ومنها سمي القمر ليلة كماله بدراً لمبادرته. وقيل: المبادرة: انتهاز الفرصة في وقتها ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها، فهو لا يطلب الأمور في إدبارها ولا قبل وقتها بل إذا حضر وقتها بادر إليها ووثب عليها، فهو بمنزلة من أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها[٥].

ومما تقدم نخرج بالقول: إنّ المعنى اللغوي لا يخرج عن المعنى الاصطلاحي للمبادرة، فهي تعني السرعة، السبق إلى الخير وهي محمودة إذا كانت في وقتها اللائق وفيما يرضي الله ، وتخرج إلى التعجل عندما تكون فيما لا ينبغي وفي غير وقتها اللائق.

المطلب الثاني: الالفاظ ذات الصلة بالمبادرة

لم يرد لفظ المبادرة صريحاً في القران الكريم الا بموضع واحد بلفظ بداراً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾[٦]، والبدار المبادرة، أي لا تأكلوها مبادرة كبرهم [٧].

وقد وردت باللفظ غير الصريح بألفاظ (السرعة) (التسابق) وهي المبادرة المحمودة ، ووردت أيضاً باللفظ (التعجل) دالة على المبادرة المذمومة (السلبية).

أولاً/ اللفظ (المسارعة):

من سرع سرعاً ، سارعت إلى الأمر ، بادرت، وسرعان الناس وسرعانهم – أوائلهم المستبقون الى الامر[٨]. والمتسرع: المبادر إلى الشر ، وتسرع بالأمر، بادر به، والمسرع: السريع إلى خير أوشر، والمسارعة الى الشيء المبادرة إليه[٩]. وقيل: المسارعة: هي ان يتدرج الانسان في ازدياد العرفة بفضله أو اختياره والسرور بتعاطيه، وأن لا تؤخره عن أول وقت إمكان فعله[١٠]. والسرعة: (المبادرة بالشيء في وقته وهي محمودة) [١١]. والمسارعة: (المبادرة والاتجاه الذي لا تراخي فيه) [١٢].

ويتضح بأن السرعة لا تخرج عن المبادرة ، وإذا كانت في وقتها تكون محمودة، أما إذا كانت قبل وقتها وفيما لا ينبغي خرجت إلى المذمومة منها.

الفرق بين المسارعة والمسابقة:

المسارعة تستلزم المسابقة؛ لأنّ من أسرع إلى الشيء فهو يسبق إليه ، بخلاف المسابقة فإنه قد يسبق إليه من غير إسراع[١٣].

والفرق بين السرعة والعجلة:

إنَّ السرعة التقدم فيما ينبغي أن يتقدم فيه وهي محمودة ونقيضها مذموم وهو الإبطاء، والتَّعَجُّيل: التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه ، وهي مذمومة[١٤].

ثانياً/ اللفظ (السبق):

السبق مصدر سبق، سبق يسبقه سبقاً تقدمه، ويقال له سابقة في هذا الأمر، إذا سبق الناس إليه والسبق والسابقة القدمة وأسبق القوم إلى الأمر وتسابقوا ،بادروا[١٥]. والسابق أي المتقدم إلى الخير، سبقه إلى الشيء تقدمه سابق إلى الشيء مسابقة : أسرع اليه[١٦]. والأسبقية مصدر صناعي من أسبق: أولوية وتقدم على الاخرين الأولوية:(الأسبقية). وأهل السابقة: الذين سبقوا غيرهم[١٧]. (والسبق يستعار لأحراز الفضل والتبريز) [١٨]. والسبق: (التقدم) [١٩].

ويتضح من معنى السبق أنه لا يخرج عن معنى المبادرة والسابق لا يكون إلا متقدماً نحو الخير فينال الأولوية والفضل والمقدمة فهو يشير إلى المبادرة المحمودة ، أي السبق الى الطاعات.

ثالثاً/ اللفظ(العجلة):

العجل ، والعجلة: السرعة، عجله ، سبقه[٢٠]. وعجلت إليه، أسرعت إليه، فتعجله، فأخذه بسرعة[٢١]. عاجلة، عجل معه بادر به[٢٢]. التعجيل: إسرع بإداء الحق قبل وقته[٢٣]. وقيل العجلة: (طلب الشيء وتحريه قبل آوانه وهو مقتضى الشهوة) [٢٤]. العجلة: (فعل الشي قبل وقته اللائق) [٢٥]. فالعجلة هنا تخرج عن مناط البحث لأنها مبادرة إلى مقاصد مذمومة ، والبحث مفاده التحريض على المبادرة بالطاعات. فالمبادرة إلى رضا الله لا تسمى تسرعاً وعجلة بل حث الله تعالى عباده وحرضهم عليها أما المبادرة إلى ما لا ينبغي وتكون في معصية الخالق فتسمى بالتعجل وهو مذموم في عامة القران إلا في موضع واحد إذا كان القصد منه رضا الله قال تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[٢٦]. وذكر أن عجلته وإن كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود وهو طلب رضا الله تعالى[٢٧]. فعاتب الله تعالى موسى (عليه السلام) وأنكر تقدمه على قومه وأخبره بأن رضاه عنه إنما يكون معهم وألاّ يسبقهم، فهذا أبلغ من تقدمه عليهم[٢٨].

فالمبادرة إلى الأمور في غير وقتها واستعجالها مذموم وهو من طبيعة البشر، وقد بينه القران الكريم بقوله تعالى : ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾[٢٩].أي يبادر الأشياء ويستعجل بوقوعها فالمؤمنون يستعجلون عقوبة الله للكافرين ويتباطؤنها والكافرون يستعجلون بالعذاب تكذيباً وعناداً والله تعالى يمهل ولا يهمل[٣٠]. وهذه المبادرة للإنسان بالدعاء في الخير والشر لفرط جهله فلو استجاب الله له لهلك بدعائه ولكن الله يلطف به[٣١]، ومنها ايضاً قوله تعالى:﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٣٢]. فإذا كانت العجلة مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره ، فكانت عجلته ﷺعلى تلقف الوحي ومبادرته إليه تدل على حجته التامة للعلم وحرصه عليه أمره الله أن يسأله زيادة العلم فإن العلم خير وكثرة الخير مطلوبة وهي من الله والطريق إليها الاجتهاد والشوق للعلم، فتضمنت المبادرة إلى آيات الله بحفظها[٣٣].

ومن ذلك يتضح بأن المبادرة إلى الخير أو الشر إذا لم تكن في أوانها ووقتها المحدد فهي مذمومة فقد ذمها الله تعالى ، حتى وإن كان القصد رضاه فإذا ما استعجل العبد أمراً وتقدم فيه بمقتضى الشهوة كان الذم. وسأتحدث فيما سيأتي من مباحث على المبادرة المحمودة بمعنى التقدم وتحصيل الفضل والتسابق إلى نيل الدرجات وأثر ذلك في أمة الإسلام فقد تناولت إشكالية (ترك المبادرة) وما يترتب عليها من ضياع الفرص وعدم تحقيق الإنجاز وهو رضا الله.

المبحث الثاني/ موجبات المبادرة:

الإنسان بفطرته وبمقتضى عقله يميل إلى أن يكون في المقدمة مالم تسيطر عليه نفسه فلا يملك زمامها فيتعجل، ويتسرع ويأخذه الهوى إلى الدركات بدل أن يرتقي إلى الدرجات فالمسلم يسعى سعياً حثيثاً بأداة جادة للوصول إلى المقصد الأسمى، فمن موجبات المبادرة:

- في تركها المذمة لذا وجبت
- في تركها فوت وضياعٌ للفرص لذا وجبت
- في طلبها تحصيلٌ للفضل لذا وجبت

المطلب الأول : ترك المبادرة موجب للذم

لا يريد الله تعالى لهذه الامة التقاعس والتكاسل، فالمبادرة الى اجابته واجبة ورتب عقوبة لم يبادر مثلما رتب مزيد فضل لمن بادر ، واول من لم يبادر ويسارع للأمر الالهي ابليس عندما امره الله تعالى بالسجود لآدم لم يبادر بالطاعة وقبول الامر وامتنع يقول تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[٣٤]. فلذلك وقع العقاب على ترك المبادرة بالسجود فالأمر يقتضي الوجوب والفور، وترك المسارعة موجب للذم[٣٥]. فالآية السابقة أمر الله واجب النفاذ فالخروج عن امر ربه موجب للذم والاولى المبادرة لما أُمر به ، والموارد كثيرة في ذم ترك المبادرة بالطاعات وقبول الاوامر ومنها تعنت اليهود وعدم مبادرتهم حين طلب منهم موسى " عليه السلام" ذبح البقرة، قال تعالى: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[٣٦].

وفي قوله (وما كادوا يفعلون) أي ما كادوا يفعلون ما امروا به لما وقع منهم من التثبط وعدم المبادرة[٣٧]. وموطن الشاهد أنهم تلعثموا وتثبطوا في أمر يقتضي الإسراع والمبادرة فقد وقع الفعل منهم بعد أسئلة عدة وجهوها لنبيهم، ومن ذلك ما خاطب الله تعالى به عباده من المؤمنين تحريضاً على الجهاد ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾[٣٨]. فالتوبيخ على ترك الجهاد والعتاب على التقاعد عن المبادرة الى الخروج، فموجب الايمان كان يدعو إلى المبادرة لا إلى التثاقل فمالكم، فأي شيء ثبت لهم فمنعكم عن المبادرة إذا دعيتم اثاقلتم وثقلت عليكم المبادرة إلى القتال ورضيتم البقاء في الأرض فحقت عليهم الذلة[٣٩].

واغتنام الفرص والمسارعة بمبادرة الأعمال الصالحة مطلب كل العباد ، والمذمة في تركها وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وشبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك**»[٤٠]. أي بادر أيام صحتك بالعمل الصالح فيخشى على من فرط في ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد[٤١].

ويذكر الله تعالى عباده المرة تلو الأخرى بأن يخلصوا قلوبهم ويبادروا قبل المنية يقول تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٤٢]. وفيه المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل إدراك المنية ، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه تعالى يملك قلب العبد بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالأمن خوفاً وبالذكر نسياناً، وغير ذلك من الأمور العارضة المفوتة للفرصة[٤٣].

وإذا كانت المنية آتية لا محال فما الداعي لترك المبادرة بالطاعات فالتنافس بدروب طاعات الله يعظم الجزاء وتركها مذموم لما فيه من اغترار وندم. يقول تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٤٤]. فبادروا أيها المؤمنون بالانفاق من قبل أن ياتي أحدكم الموت فيقول هلا أخرتني إلى أجل قريب فأصدّق وأؤدي فرائضك[٤٥]. (فعلى العاقل المبادرة إلى التصدق إذ كل لمحة بصدد الموت ، ولا يغتر بالصحة، إذ كم من صحيح مات وكم من سقيم عاش) [٤٦].

ونستشف مما تقدم أن الله حرض على المبادرة والإسراع والتقدم في الخير، ولو لم يكن للمبادرة شأن ولتركها مزيد من الذم والندامة والحسرة لما أمر بها ووبخ على تركها.

المطلب الثاني/ المبادرة مخافة الفوت:

الذي نحتاج إليه اليوم هو أناس يفكرون في ظل هذا الغياب للإبداع والظهور، فإن بلوغ الأمة للحضارة الحقّة سيتأخر إذا لم يكن هناك مبادرات إلى التفكير مخافة ضياع الفرص والندم يشير الى ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾[٤٧]. فهنا الدلالة على المبادرة والسبق إلى الإيمان ، وذلك دليل سلامة فطرتهم من الخطأ والمكابرة ، وقد توسموا أن تكون مبادرتهم لإجابة دعوة الإسلام مشكورة عند الله تعالى ، فقالوا : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) [٤٨].

والله تعالى يحث في مواضع كثيرة من كتابه العزيز على المبادرة في الطاعات خشية فوات الوقت دون بلوغ المقصد يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[٤٩]. فحثَّهم على المبادرة والاستعجال وأمرهم بالاستجابة في الطاعات وأعلمهم أنه يحول بين المرء وقلبه بالموت فبادروا بالطاعات وتزودوا ليوم الحشر[٥٠]. وبادروا إلى تكميل النفوس وتصفية القلوب بإجابة الرسول قبل فوات الفرصة فإنها قد تفوت بأن يحدث الله أسباباً لا يتمكن العبد معها من تصريف القلب فيما يشاؤه من إصلاح أمره فيموت غير مستجيب لله والرسول[٥١].

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾[٥٢]. فالمداومة على المبادرة إلى إصلاح النفس من فسادها، هو من جهاد النفس الذي هو اعظم الجهاد فالأوبة هي اعم من التوبة؛

لأنها تشمل من رجع الى ربه تائباً عن ذنبه ومن رجع إليه يسأله ويتضرع إليه أن يرزقه التوبة من الذنوب [٥٣].

فينبغي للعبد المذنب المسارعة بالتوبة ولا يؤخرها فلا تقبل منه إذا دنا منه الأجل: يقول رسول الله ﷺ :«**إنَّ الله عز وجل ليقبل توبة العبد مالم يغرغر**»[٥٤]. وفي المسارعة بالاستعداد للأخرة يقول تعالى : ﴿**وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا**﴾[٥٥]. وفيه تحريض على المبادرة ومسابقة الأجل بالعمل الصالح فقد يجيء الأجل وقد فرَّط ولم يستعد للقاء[٥٦]. فتعد المبادرة محمودة في أمور الآخرة مخافة الفوت يقول رسول الله ﷺ : «**التؤدة**[٥٧] **في كل شيء إلا في عمل الاخرة**»[٥٨]. والتنافس في مبادرة الطاعات محمود لما فيه من رغبة ونزاع على النعيم المقيم الذي وعد الله به عباده الأبرار بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ**﴾[٥٩]. فأهل الطاعة في تنعم عظيم لايقادر قدره، إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة لما في وجوههم من النور والحسن والبياض[٦٠]. ففي هذا التنعم الذي وصف جل ثناؤه أنه أعطى هؤلاء الأبرار يوم القيامة فليتنافس المتنافسون ، فليرغب الراغبون في المبادرة إلى طاعة الله ، وهنا التنافس كالتنازع بأن يحب كل واحد أن ينفرد به دون صاحبه، فليستبقوا في طلبه ولتحرص عليه نفوسهم[٦١].

وفي مثل ذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ**﴾[٦٢]. فليجتهد المجتهدون، فليحتمل المحتملون الاذى لأنه حفت الجنة بالمكاره[٦٣]. وقيل (فليعمل العاملون) فليبادر المبادرون في العمل الصالح فليبذل المباذلون بالنفقة في سبيل الله ، فليجتهد المجتهدون بالعلم والعبادة[٦٤]. أما المبادرة إلى التنافس على حطام الدنيا؛ فهو الذي خشي منه رسول الله ﷺ على أمته فقال: «**فو الله مالفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**» [٦٥]. فالمنافسة على الدنيا سبب قد يجر لفساد الدين وهلاكه[٦٦]. وقد مدح الله تعالى الأنبياء في مبادرة الخيرات والدعاء يقول تعالى : ﴿**كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾[٦٧].

فالمسارعة في طاعة الله من أكبر ما يمدح المرء به لأنه يدل على حرص عظيم على الطاعة[٦٨]. يتسارعون كأنما يتسابقون يسابق بعضهم بعضاً في دائرة الخيرات لايخرجون عنها ، والخيرات الأعمال النافعة التي قصد بها وجه الله والعبادة الخالصة له سبحانه فكانوا يبادرون إلى أبواب الخير راغبين في الثواب خائفين من المعصية[٦٩]. فالإنسان الذي يريد الجنة يسرع ُبالطاعات مخافة أن تفوته، يقول رسول الله ﷺ: « **من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**»[٧٠].

فمن خاف أسرع في طاعة الله وعبادته وعجل فما يدري لعله يموت قبله، فليحذر أن تفوته سلعة الله الجنة [٧١].

ومما روي في ذلك عن أنس بن مالك "رضي الله عنه": (ما من عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) سمعت هذا من نبيكم ﷺ [٧٢]. والمعنى أن يبادر الإنسان لصالح الأعمال وإن لحقته المتاعب والمشاق، فما يأتي بعد أشد في ذلك مما في الزمان الذي كان فيه؛ لأن الزمان لا يزال في البعد عن مشكاة النبوة والقرب من البدع والفتن[٧٣].

ومما تقدم نخرج بالقول إن على الإنسان أن يوطن نفسه على مبادرة الطاعات، فمن مميزات المبادرين تنافس الفرص للحصول على الجنان، واستثمار العمر في الطاعات خير من إضاعته في المعاصي فلا يعلم العبد متى يداهمه الموت فيكون الفوت.

المطلب الثالث/ المبادرة موجبة للفضل:

نحن اليوم بنا حاجة إلى نماذج بشرية صالحة مفكرة قادرة على أن تبادر وتحصل على فضيلة السبق، مثلما حصل عليها الأوائل الذين ذكرهم الله وأشاد باحتلالهم الصدارة. فسمى الله تعالى الأمر الواجب بالخيرات ، وذلك لما في المبادرة إليه والتقدم نحوه من فضل يتحصل عليه السابق بأدائه في أحرج الساعات. يقول تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٧٤]

أي بادروا بالطاعات وقبول الأوامر وفيه حث على المبادرة إلى الأولوية والأفضلية[٧٥]. فالمراد المبادرة إلى أمر الله وإن كان الظاهر الاستباق والمراد منه السبق للوصول إلى الشيء اولاً، وأصلحه التقدم في السير فبادروا الأمم بالطاعات فإن الله قادر على جمعكم يوم القيامة [٧٦]. وذهب بعضهم إلى أن المعنى المراد المبادرة بالصلاة في أول وقتها[٧٧]. فتحصيل رضوان الله هذا الفضل الكبير لا يكون إلا بالمبادرة إلى الطاعة أول الوقت، يشير إلى ذلك أيضاً قوله ﷺ: «**أول الوقت رضوان الله ، وأوسط الوقت رحمة الله ، وآخر الوقت عفو الله**»[٧٨]. ومقام السابقين وما فيه من الفضل لا يصل إليه إلا من ارتفعوا بإرادتهم ، فلا تنطفئ جذوة نشاطهم، وأحيوا قلوبهم بالدين ، وحرروها من قيود الهوى، فبادروا ووصلوا إلى رضاه سبحانه. يقول تعالى:﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٧٩]. فالمسارعة هنا المبادرة والاتجاه الذي لا تراخي فيه إلى مغفرة الله باتخاذ طريقها بأن يطهر قلبه من المعاصي ، ونفسه من الأدران ويتجه إليه سبحانه بقلبٍ سليم ، فبادروا بالإخلاص وتنقية القلوب إلى مغفرة الله تعالى فإن ذلك هو الطريق المستقيم لطلب رضا الله[٨٠].

فالله تعالى أوجب جزيل الثواب لمن بادر إلى الإيمان فكان أسبق من غيره إلى الفضل والخير، يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[٨١]. جاء في تفسيرها السابقون إلى الإسلام الأولون من المهاجرين والأنصار الذي صلوا إلى القبلتين، علي بن ابي طالب "عليه السلام" ، وعشر نفر من أهل بدر[٨٢]. وقيل إذا كان الأولون سبقوا إلى الاستجابة فقد سبق الأنصار إلى إنشاء دولة الإسلام وإذا كان الأولون قد سبقوا ولهم فضل الهجرة فقد سبق الأنصار ونالوا فضل الإيواء والنصرة[٨٣]. ويقال: ليس اللاحق كالسابق، ورضاهم عن الله قضية ورضا الله عنهم في آزاله[٨٤].

وإنما كان السبق موجباً للفضيلة؛ لأن إقدامهم على هذه الأفعال يوجب اقتداء غيرهم بهم ، فيصير ذلك سبباً للقوة والكمال فوجب الاعتراف بكونهم رؤساء المسلمين وسادة لهم، وحال المهاجرين أعلى في الفضيلة من حال الأنصار منهم السابقون في الإيمان الذي هو عنوان المناقب، وتحملوا العناء والمشقة دهراً دهيراً ، من كفار قريش ، وتحملوا المضار من مفارقة الأوطان، وأيضاً فتحوا الباب في قبول الدين من الرسول إنما حصل منهم والأنصار اقتدوا بهم وتشبهوا ، فالمقتدي أقل رتبة من المقتدَى به [٨٥]. ورسول اللهﷺ يقول: «**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة** ...» [٨٦]. (فمن يتأمل الحديث يجد فيه بيان فضل المتقدمين على المتاخرين) [٨٧].

وهؤلاء الصفوة الأخيار من عباد الله استقلوا طاعتهم لاستعظامهم لله، فيبادرون بالطاعات مقرونة بعدم الرضا عن النفس فيما يؤدونه. يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٨٨].

في النص إشارة إلى الحاملين لأوصاف السبق عند الله فالخير يمهد للخير ، وكل خير يمهد إلى أعلى منه فجزاء المسارعة في الخير سبق إليه وينتهي إلى جزائه فهؤلاء يبتدئ جزاؤهم من أعمالهم براحة ضمائرهم واستمتاعهم برضا ربهم، فالخير جزاؤه يبتدئ من ذات فعله وينتهي إلى النعيم يوم القيامة فبذلك ينالون الطليعة بهذه اليقظة وهذا التطلع [٨٩].

ونتوصل مما سبق إلى أن المبادرة والتقدم بكل همّة ونشاط إلى التكاليف يوجب مزيداً من الفضل ، فعندها سيكون الإيمان حاكماً ومتيقظا في ذات العبد، وبغيره – الإيمان– لا يكون لأي مبادرة معنى حقيقي كونها لا تستند إلى مشروعية قبول.

المبحث الثالث/ ما يترتب على المبادرة من أثر:

إنّ للمبادرة أثرًا ايجابيًّا في الدنيا والآخرة والقران زخر بالآيات التي بينت ما في المسارعة والسبق إلى الطاعة من أثر محمود، ولذا كان الرعيل الأول ومن جاء بعدهم حريصاً على المبادرة،

فالفضل المترتب للأول ليس مماثلاً لفضل من جاء بعده فالأبرار متفاوتون متفاضلون في الدرجات ولبيان ذلك وجب أن نعرف:

- رتبة الأوائل وفضلهم.
- تفاضل السابقين ودرجاتهم .

المطلب الأول/ رتبة الأوائل وفضلهم:

مثلما كان الأنبياء والأولياء من آل محمد "عليهم السلام" والصحابة "رضوان الله عنهم" يبادرون ويتسابقون إلى رتبة الأوائل فلينخرط اليوم الفرد المسلم في سلك أولئك المبادرين ليحظىَ بالخيرات وينال المقام الذي يسمو على كل مقام يقول تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٩٠]. فرسولنا أول المسلمين من هذه الأمة ، لأنه هو الذي دعاهم إلى الإسلام فهو أول من أسلم لنزول الوحي عليه فآمن به ثم قام يدعوالناس إليه من هذه الإمة لا من جميع الناس[٩١]. وقد يكون حثاً له على اتباعه للمسارعة بالإسلام[٩٢].

أو (انا أول المسلمين) أراد الأولية في الرتبة والفضيلة[٩٣].

ويترتب على هذه الأولية سبق على غيره ، وما هذا إلا بتوفيق الله وتحقق رضاه، إذ لولا ذلك لما حصل السبق لأمة محمد في الدنيا والآخرة. يقول رسول الله ﷺ : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأُوتيناه من بعدهم ، وهو الذي أمروا به فاختلفوا فجعله الله لنا عيداً فاليوم لنا وغداً لليهود وبعد غد للنصارى**» [٩٤]. أي نحن الآخرون في الزمان ، السابقون في دخول الجنة، وقيل لما تخيرت اليهود السبت والنصارى الأحد وهدانا الله ليوم الجمعة وهي سابقة لليومين سبقناهم في الدنيا وسنسبقهم في الآخرة[٩٥].

ولبيان مقام الأوائل عند الله وفضلهم تكرر ذكر لفظ الأول في القران الكريم وما ذلك إلا لإثبات اكتساب التوفيق بهذه الرتبة، يقول تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾[٩٦]. أي أنا أول من يعبده على الوحدانية مخالفاً لكم[٩٧].

وقد حبا الله رسولنا الكريم بالكرامة والفضيلة ما يسبقه أحد من الأنبياء فيها، وأعطاه مقاماً محموداً لم يعط غيره مثله فبين رسول الله ﷺ ذلك بقوله:« **أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأنظر الى بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك. فقال رجل: يا رسول الله وكيف تعرف أمتك من بين الأمم ، فيما بين نوح الى أمتك؟ فقال : هم غرٌ محجلون من أثر الوضوء ليس احدٌ كذلك غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم يسعى بين أيديهم ذريتهم**»[٩٨].

وفي فضل الأول وتقدمه يقول الإمام علي " عليه السلام" : (أنا أول من صلى مع رسول الله ﷺ) [٩٩].

ولبيان فضل هذه الأولوية فقد أعطاه رسول الله ﷺ منزلة هارون من موسى حيث قال ﷺ: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**»[١٠٠].

فالمبادرة إلى طاعة الله ورضاه دون تلعثم أو اضطراب تورث الفضل بلا شك ومن المشاهد التي يبين فيها القرآن المبادرة إليه لسبق الأولية قوله تعالى على لسان السحرة في زمن موسى وتوبتهم : ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٠١]. فلاننا كنا أول من آمن بموسى وصدقه بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا ، فإننا نرجو أن يغفر لنا ربنا شركنا وسحرنا ؛ لأننا أول المصدقين من قوم فرعون ، وذكر أنهم أول مؤمني دهرهم ، أي أول من آمن في هذه الساعة[١٠٢]. فالمطمع الذي نتعلق به ونرجوه أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا نحن السابقين ، ولأنهم متحققون في أنهم أول المؤمنين فطمعوا في المغفرة أي بسبب أننا بادرنا قومنا من القبط ، فكانوا السابقين إلى الإيمان في بيئة تغص بالكفر[١٠٣].

فتحصيل رتبة الأوائل إنما تكون أول الوقت وهذا أحرج الأوقات وفيه تكون الطاعة الحقة لله فالمبادر لا يخشى خسران الدنيا مقابل الفوز برضا الله . ولفضل السابقين بالخيرات جعل الله تعالى هذه الطائفة أكمل طائفة من أمة محمد ﷺ قال تعالى:﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[١٠٤]. فالسابق بالخيرات هو المبرّز الذي تقدم المجتهدين في خدمة ربه وأداء ما لزمه من فرائض، فسبقهم بصالح الأعمال وهي الخيرات بإذن الله أي بتوفيق الله إياه ، لذلك فسبوق هذا السباق من سبقه بالخيرات بإذن الله وهو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقصراً عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه[١٠٥]. وإلى هذا الإكرام للسابقين من أمته يشير حديث رسول الله ﷺ :«**إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**»[١٠٦]. أي تتمون علة الخيرية، فكما أن نبيكم خاتم الأنبياء أنتم خاتم الأمم، وفيه إيماء إلى حسن الخاتمة[١٠٧].

ولن تتحصل للأمة هذه المنزلة لولا نبينا الأكرم فلما كان أول المسلمين، فسيكون أول الشفعاء يقول رسول الله ﷺ : «**أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً**»[١٠٨]. وهذا من كمال عناية ربه به إذ منحه هذا السبق لسبقه بالنبوة ولأن المصطفى أحمد الخلائق في الدارين أعطيَ لواء الحمد ويأوى إلى لوائه الأولون والآخرون [١٠٩].

ومما تقدم نخرج بالقول أن رتبة الأوائل والحصول عليها تستلزم أن يمتلك الإنسان رُقياً فكريّاً يؤهله إلى أن يبادر إلى الله تعالى بكل ما أوتي غير مبالٍ بما يترتب على هذه المبادرة من إتلاف

للنفس أو ضرر أو مشاق فهو يسعى لتحقيق الهدف الأسمى فالأول يعني الأسبق والأبرز والمقدم وكلها مما تميل لها الفطرة ولكن تحصيلها يكون بالمبادرة والمثابرة وامتلاك زمام النفس.

المطلب الثاني : تفاضل السابقين ودرجاتهم يتفاضل عباد الله عنده فهم درجات يفضل بعضهم على بعض في السبق إليه فكل واحد منهم له درجة فالسابق لا يسبقه المسبوق وهذا التقدم والفضل كان نتيجة حزمهم لأنهم لا يفوتون فرص المبادرة إلى الطاعة، فالسابقون في الدنيا إلى الخيرات سابقون في الآخرة إلى الجنات، يقول تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [١١٠].فالسابقون: هم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله وهم المهاجرون الأولين[١١١]. فهم في جنات النعيم في أعلى عليين ، وفي النص التعجب من حالهم بلغت منتهى الفضل والرفعة فاخبر عنهم فلم يجد أدل على مرتبتهم من اسم(السابقون) وهذا أدل على شرف قدرهم وهو دليل على بلوغهم أقصى ما يطلبه الطالبون فجعل وصف(السابقون) بمنزلة اللقب، وهذا الصنف يولد في جميع العصور من القدم ومستمر في الأمم إلى الأمة المحمدية وليس صنفاً قد انقضى وسبق الأمة المحمدية، منهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين أي إنهم صنف عزيز لما عهد في العرف من قلة الأشياء النفيسة[١١٢].

ومراتب الكمال لا يبلغها إلا الأنبياء وقد بلغ نبينا محمدﷺ . أسمى مراتب الكمال فله الفضل على غيره من الأنبياء يشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾[١١٣]. ففي قوله:﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾أراد به النبي ﷺ ، ففي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ، فقد أوتي ما لم يؤت أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية ألف آية وأكثر ولو لم يؤت إلا القران وحده لكفى به فضلاً منيفاً على سائر ما أوتي الأنبياء فكان المشهود له بإحراز قصبات السبق في الفضيلة[١١٤].

وقد بين ﷺ هذا الفضل بقوله: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَسَّمَ الْخَلْقَ قِسْمَيْنِ :فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قِسْمًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ} {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ} ،فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَنَا مِن خَيْرِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، ثُمّ جَعَلَ الْقِسْمَيْنِ بُيُوتًا ،فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا بَيْتًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ،وَأَصْحَاب الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ،وَالسَّابِقُون السَّابِقُونَ} ،فَأَنَا مِنْ خَيْرِ السَّابِقِينَ ،ثُمّ جَعَلَ الْبُيُوتَ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قَبِيلَةً، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {شُعُوبًا وَقَبَائِلَ} ،فَأَنَا أَتْقَى وَلَدِ آدَم وَأَكْرَمُهُم عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلّ وَلَا فَخْرَ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَبَائِلَ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا بَيْتًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِب عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْت وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا}**»[١١٥].

فالله تعالى فضل محمداً ﷺعلى أهل السماء وعلى الأنبياء "عليهم السلام"[١١٦]، وللمبادرة درجة عظيمة لما فيها من إخلاص لله واتلاف للنفس بالجهاد والهجرة من غير إباء ولا امتناع وقد بين هذه الدرجة قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[١١٧]. نزلت حينما افتخر العباس بن عبد المطلب وقال لعلي بن ابي طالب "عليه السلام" لأن سبقتمونا بالهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد ونسقي الحاج فأنزل الله هذه الآية وأخبرهم أن الإيمان بالله والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه[١١٨]. وعلى هذا فلا يمكن أن يساوي في الفضل بين السابق في كل ميدان من ميادين الحياة والمتلعثم الذي لا يسارع ولا يتنافس ولا يتقدم، وهو درس كبير للأمة فالله يفاضل بين عباده ، ويوجهنا أن نأخذ هذا المثل قيمة ومنهاجاً نسير عليه فلا نساوي بين المبادر ونقيضه يقول تعالى:﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ ﴾[١١٩].فجزاء المؤمنين الكملة لهم درجات عند ربهم الدرجات منازل الرفعة ومراقي الكرامة فقد فضل الله تعالى المؤمنين درجات في الدنيا وفي الآخرة وفي المكانة عند ربهم، وهذه الأخيرة عليا الدرجات وأفضلها[١٢٠].

وهذا الفضل نتيجة السبق ففي رواية كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف " رضى الله عنهما" كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ، فبلغ ذلك النبي ﷺ: فقال : «**دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتم أعمالهم**» [١٢١].

والجزاء على قدر المشقة فمن بادر استطاع ان يرتقي درجات رضا الله فبلغ منها مبلغاً ومن عصى ولم يُلَبِّ نداء الخالق ممن لا يملكون زمام أنفسهم فهم في الدركات، فدرجة الأبرار أنفسهم تتفاوت بمقدار مبادرة الواجب.

يقول تعالى :﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[١٢٢]. وهنا التحذير من العمل بمعاصي الله والحث على المبادرة بطاعته أفمن أطاع الله واتبع أمره كمن عصاه؟ ليسا بسواء ، فهم متفاوتون في الدرجات، فإن الأولين في أرفع الدرجات ، والآخرين في أسفل الدركات[١٢٣].

فالدرجة هي المرتبة والمنزلة الرفيعة والآية تشير إلى معنى جليل وهو تفاوت درجات الأبرار، فهم درجات عند الله بمقدار اتباعهم ما فيه رضوانه[١٢٤]. والمبادرة إلى رضا الله وتحصيل هذا الرضا أمر شاق ليس باليسير، ولذلك رفع الله منزلة محصِلهِ في الدنيا والآخرة فأشاد بمن يبتغي مرضاته يقول تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾[١٢٥] فهؤلاء أهل الفضل هم الدواء والصلاح والعلاج هم الذين بادروا وباعوا أنفسهم مجاهدين ناطقين بكلمة الحق ، وفيه

إشارة إلى عظم المهمة الملقاة على عاتقتهم، وهي مجاهدة الشر، وهذا يقتضي التعرض للأذى بل للتلف فيكون شهيداً ، بل أفضل الشهداء فهو لا يطلب إلا ثمناً واحداً وهو رضا الله [١٢٦].

وفي كل زمان لا ينال الدرجات العلا إلا من بادر بكل قلبه الى الله في أحرج الأوقات وأصعب الظروف وضرب لنا الله تعالى مثلاً للصالحات من النساء والمبادرات إلى رضوانه آسية بنت مزاحم امرأة فرعون.. في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١٢٧]. فقد بادرت امرأة فرعون إلى الإسلام لما غلب موسى السحرة، فلما تبين إسلامها عذبها فرعون فقالت : ربي ابن لي بيتاً في الجنة وأبصرت بيتها بالجنة ، وانتزع الله روحها فلم تجد ألماً من عذاب فرعون[١٢٨].

ويكفيها فضلاً ومنزلة أنها ذكرت بين فضلى نساء الجنة يقولﷺ:«**افضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمدٍ ، وآسية بنت مزاحم امرات فرعون، ومريم بنت عمران**»[١٢٩]. فجعل الله لهن المكانة لسبقهن لطاعة الله ورضوانه فلهن أجر تقدمهن ولهن أجر اقتداء النساء بهن إلى يوم القيامة . ففضيلة السبق تقتضي تفاوت الدرجات فمن بادر إلى اداء الواجب كالأنفاق وقت حاجة الناس إليه درجة أعظم ممن جاء بعده. يقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾[١٣٠]. أي هم على سبقهم لغيرهم متفاوتون في الدرجات[١٣١].

فلا يستوي منكم من أنفق قبل فتح مكة والحديبية والذين أنفقوا من بعد ذلك بل أولئك أعظم ثواباً وأعلى درجة من هؤلاء؛ لأن حاجة الناس كانت أكثر إلى ذلك وكان ذلك أشق على أصحابه فإن فضيلة السبق لهم [١٣٢]. وعلى ذلك نخرج بالقول: إنّ العزم والإرادة اللافتة للنظر التي أودعها الله في المبادرين كانت وراء سعيهم الحثيث للوصول إلى القصد (رضا الله) غير مبالين بالمشاقّ وإتلاف النفس فكانت إرادتهم سبباً للتقدم وإحراز الفوز بالدرجات على غيرهم.

الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث يحسن عرض أهم النتائج:

١- ورد معنى المبادرة في القران الكريم بمعنى السرعة والسبق والأولية، وكل هذه الألفاظ تدل على معنى المبادرة، فالمسارعة خطاب من الله تعالى لعباده فهم مكلفون أن يسارعوا الموت ويسبقوا الأجل بفعل الخيرات والطاعات وألاّ يقطعوا بالأجل ويمنعوا دخول الجنة فالغرض هو تحصيل الواجب المندوب لأنه يستلزم السلامة من النار.

٢- ينبغي التفريق بين المبادرة في الخيرات وهي السرعة واغتنام الفرصة في وقتها المحدد وباعثها العقل وبين العجلة التي هي الإسراع وتحري الشيء قبل أوانه وباعثها الجهل والهوى.

٣- المبادرة الى الخير وتحقيق المنفعة مهمة عظيمة تقتضي التعرض للأذى، في سبيل إداء الواجب من غير امتناع ، وهذا الصنف من الناس صنف عزيز لا تخلو منه الأمة المحمدية وواقعنا المعاصر وما تشهده بلادنا اليوم من تضحيات بالغالي والنفيس يثبت ذلك.

٤- المبادرة وتحقيق التقدم يقع على عاتق المصلحين ورجال الفكر والدين ممن يتبنون دوراً رسالياً ينبغي تكريسه لخدمة الناشئة ورفعة الشخصية المسلمة، والارتقاء بها نحو الإنجاز، فاليوم تتراجع الامة سياسياً واقتصادياً وثقافياً لترك التسابق في الخيرات وغياب المبادرات، وذلك لتغليب المصالح الشخصية والخوف من ضياع المكاسب الخاصة، وتقديم الماديات والشخوص على رضا الله، والاكتفاء بالتنظير للإشكاليات كافة.

٥- الخلل والانحطاط في أي أمة من الأمم يرجع الى ارتقاء أشخاص ليس لهم إرادة إلى السمو، وهذا ما لا يتفق مع العقل، فنحن بنا حاجة إلى التخلص من العجز والقصور وآثار التأخر، وهذا يتحقق عند (وضع الرجل المناسب في المكان المناسب) فالأمة اليوم محتاجة إلى أناس لديهم رؤية واقعية توصلها إلى الأهداف المقصودة بادرت وضحت في السابق، واكملت المسيرة في المستقبل ،لا تخاف في الله لومة لائم.

٦- البحث دعوة للتعلم من تقدم الآخرين، وكيف كانت إرادتهم، دعوة لرؤية الطاقات والإمكانات الموجودة في أعماقنا، فالسبيل إلى رقي الأمة، وتطورها منوط بحل مشكلاتها، فلولا المشكلات لما كانت هناك مبادرات ولتوقفت تماماً، اذاً فلنزداد جدية في العمل ونغتنم الفرص، للوصول إلى الأهداف السامية ، فدراسة حياة الرسل وآل البيت(عليهم السلام) والصحابة(رضوان الله عليهم) تغنينا عن أي مقال .

الهوامش:

(١) ينظر: مختار الصحاح : ٣٠/١.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة: ٢٩٤/١.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٤٨/٤.

(٤) ينظر: تاج العروس: ١٣٧/١٠.

(٥)ينظر: الروح : ٢٥٨.

(٦)سورة النساء: الآية : ٦.

(٧)ينظر: جامع البيان:٥٨١/٧.

[٨]ينظر: المتخصص: ٢٦٣/١.

[٩]ينظر: لسان العرب: ١٥٢/٨.

[١٠]ينظر: تفسير الراغب الاصفهاني: ٨٠٩/٢.

[١١]البحر المحيط: ٥/ ١٨١.

[١٢]زهرة التفاسير: ٤١٠/٣.

[١٣]ينظر: تفسير ابن عرفة : ٤١١/١.

[١٤]ينظر: معجم الفروق اللغوية: ٢٧٦/١.

[١٥]ينظر: لسان العرب: ١٩٢٨/٣.

[١٦]ينظر : المعجم الوسيط: ٤١٤/١.

[١٧]ينظر: معجم اللغة العربية المعاصر: ١٠٢٨/٢.

[١٨]المفردات: ٢٢٩.

[١٩]الكليات:٥٠٨/١.

[٢٠]ينظر: المحكم والمحيط الاعظم: ٣٢٤/١.

[٢١]ينظر: المصباح المنير: ٣٩٤/٢.

[٢٢]ينظر: المعجم الوسيط:٥٨٦/٢.

[٢٣]ينظر: معجم لغة الفقهاء: ١٣٥/١.

[٢٤]المفردات: ٣٢٦؛ وتاج العروس: ٢٣١/٢٩.

[٢٥]التوقيف على مهمات التعاريف: ٢٣٦/١.

[٢٦]سورة طه : الاية : ٨٤.

[٢٧]ينظر: تفسير الراغب الاصفهاني: ٨٠٩/٢.

[٢٨]ينظر: لطائف الاشارات: ٤٧٠/٢.

[٢٩]سورة الاسراء: الآية : ١١

[٣٠]ينظر: تفسير السعدي: ٥٢٣/١.

[٣١]ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ٤٦.

[٣٢]سورة القيامة : الآية : ١٦– ١٩.

[٣٣]ينظر: فتح البيان في مقاصد القران: ٤٤١/١٤؛ وتسير الكريم الرحمن: ٥١٤/١.

[٣٤]سورة الاعراف: الآية: ٢١.

[٣٥]ينظر: تفسير ابن جزي: ٢٨٥/١.

[٣٦]سورة البقرة: الآية:٧١.

[٣٧]ينظر: فتح البيان في مقاصد القران : ١٩٧/١.

[٣٨]سورة التوبة: الآية :٣٨.

[٣٩]ينظر: الجامع لأحكام القران: ١٤٠/٨؛ وزهرة التفاسير: ٣٣٠٥/٦.

[٤٠] مصنف ابن ابي شيبة: باب (ما ذكر عن نبينا ﷺ في الزهد)، رقم الحديث: (٣٤٣١٩) : ٧٧/٧

[٤١] ينظر: فتح الباري لابن حجر: ٢٣٥/١١٠.

[٤٢] سورة ق: الآية :١٦.

[٤٣]ينظر: فتح البيان في مقاصد القران : ١٥٧/٥.

[٤٤]سورة المنافقون: الآية: ١٠

[٤٥]ينظر: جامع البيان: ٤١٠/٢٣.

[٤٦]غاية الاماني في تفسير الكلام الرباني: ١٧٠/١.

[٤٧]سورة آل عمران: الآية: ١٩٣.

[٤٨]ينظر: التحرير والتنوير: ١٩٩/٤.

[٤٩]سورة الانفال : الآية : ٢٤.

[٥٠]ينظر: تفسير الثعالبي: ١٢٤/٣.

[٥١]ينظر: روح البيان : ٣٣١/٣.

[٥٢]سورة الاسراء: الآية: ٢٥.

[٥٣]ينظر: تفسير ابن باديس : ٧٧/١.

[٥٤]سنن ابن ماجة: باب (الرفق) ، رقم الحديث : (٤٢٥٣) :١٤٢٠/٢.

[٥٥]سورة المنافقون: الآية : ١١.

[٥٦]ينظر: البحر المحيط: ١٨٥/١٠؛ والمحرر الوجيز: ٢٩٠/٥.

[٥٧]أَتَأَّدَ وتَوَأَّدَ وهو التَمَهُّل والتأنيّ والرَّزانة.ينظر:العين:٩٧/٨ .

[٥٨]سنن ابي داود: باب(الرفق) ، رقم الحديث: (٤٨١٠) : ٢٥٥/٤.

[٥٩]سورة المطففين: الآية:٢٢– ٢٥.

[٦٠]ينظر: فتح البيان في مقاصد القران: ١٣٥/١٥.

[٦١] ينظر: جامع البيان: ٢٤/ ٢٩٩؛ والتفسير الوسيط للزحيلي:٤٤٦/٤.

[٦٢] سورة الصافات: الآيات : ٦٠–٦١.

[٦٣]ينظر: بحر العلوم: ١٤٢/٣.

[٦٤]ينظر: تنوير المقباس في تفسير ابن عباس:٣٧٦/١٠.

[٦٥]صحيح البخاري: كتاب (الرقائق) ، باب(مايحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها)، رقم الحديث: (٦٤٢٥) : ٩٠/٨.

[٦٦]ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: ٣٨٢/٤.

[٦٧]سورة الأنبياء: الاية:٩٠.

[٦٨]ينظر: مفتاح الغيب :١٨٨/٢٢.

[٦٩]ينظر: زهرة التفاسير:٤٩١١/٩؛ وتفسير البيضاوي: ٥٩/٤.

[٧٠]المستدرك على الصحيحين: (الرقائق) ، رقم الحديث : (٧٨٥١) : ٣٤٣/٤.

[٧١]ينظر: شرح رياض الصالحين : ٨/٢٦.

[٧٢]سنن الترمذي : باب(ما جاء في اشراط الساعة)، رقم الحديث: (٢٢٠٦) : ٤/ ٤٩٢.

[٧٣]ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: ٣٠٤/٢.

[٧٤]سورة البقرة: الآية : ١٤٨.

[٧٥]ينظر: تفسير الخازن: ١٢٣/١.

[٧٦]ينظر: بحر العلوم: ١٢٨/١؛ وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٣١٢/١.

[٧٧]ينظر: الجامع لأحكام القران: ١٦٥/٢.

[٧٨]السنن الكبرى للبيهقي : باب(الترغيب في التعجيل بالصلوات في اوائل الاوقات) رقم الحديث: (٢٠٤٩) :٦٤٠/١.

[٧٩]سورة آل عمران: الآية: ١٣٣.

(٨٠)ينظر: زهرة التفاسير: ١٤١٠/٢.

(٨١)سورة التوبة: الآية :١٠٠.

(٨٢)ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨/٢.

(٨٣)ينظر : زهرة التفاسير: ٣٤٢٨/٧.

(٨٤)ينظر: لطائف الاشارات: ٨٥/٢.

(٨٥)ينظر: مفاتيح الغيب : ١٦٦/١٥.

(٨٦)صحيح مسلم : كتاب (العلم) ، باب (من سن في الاسلام سنة حسنة او سيئة او دعى الى هدى او ضلالة) ، رقم الحديث: (١٠١٧) ، ٢٠٥٩/٤.

(٨٧)دليل الفالحين بطرق رياض الصالحين ، باب (في ثواب من سن سنة حسنه) : ٤٤٦/٢.

(٨٨)سورة المؤمنون: الآية : ٦٠ – ٦١.

(٨٩)ينظر: زهرة التفاسير : ٥٠٨٨/١٠؛ وفي ظلال القران : ٢٤٧٣/٤.

(٩٠)سورة الانعام: الآيات : (١٦٢ – ١٦٣)

(٩١)ينظر: العذب النمير: ١٢٦/٢.

(٩٢)ينظر: النكت والعيون: ١٩٦/٢

(٩٣)ينظر: البحر المحيط: ٤٥٣/٤.

(٩٤)مسند احمد: مسند (ابي هريرة) ،رقم الحديث: (٧٤٠١) : ٣١٤/١٢.

(٩٥)ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين: ٤٤١/٣.

(٩٦)سورة الزخرف: الآية : ٨١.

(٩٧)ينظر: الجامع لأحكام القران : ١٢٠/١٦.

(٩٨)مسند احمد: باب (حديث ابي الدرداء) ، رقم الحديث: (٢١٧٣٧) : ٦٤/٣٦.

(٩٩)مسند ابي داود الطيالسي: باب (حديث علي بن ابي طالب)، رقم الحديث : (١٧٣) : (١٧٣) : ١٤٧/١٤٧,١/١.

(١٠٠)صحيح البخاري : كتاب (اصحاب النبي ﷺ) ، باب (مناقب علي بن ابي طالب) ، رقم الحديث : (٣٧٠٦) ، ١٩/٥.

(١٠١)سورة الشعراء: الآية:٥١.

(١٠٢)ينظر : جامع البيان في مقاصد القران : ٥٧١/١٧؛ وبحر العلوم : ٥٥٤/٢.

(١٠٣)ينظر: في ظلال القران : ٢٥٩٧/٥؛ والتحرير والتنوير: ١٦/٢٨؛ والتفسير المنير للزحيلي: ١٥٢/١٩.

(١٠٤)سورة فاطر: الآية :٣٢.

(١٠٥)ينظر: جامع البيان : ٣٧٧/١٩.

(١٠٦)مسند احمد: باب (حكم بن معاوي البهزي) ، رقم الحديث: (٢٠٠١٥) : ٢١٩/٣٣.

(١٠٧)ينظر: مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح: ٤٠٥٤/٩.

(١٠٨)صحيح مسلم : كتاب (الايمان) ، باب (في قول النبي ﷺ انا....)، رقم الحديث : (١٩٦) : ١٨٨/١.

(١٠٩)ينظر: فيض القدير : ٥٣/٣.

(١١٠)سورة الواقعة: الآية :١٠-١١.

(١١١)ينظر: جامع البيان : ٢٨٧/٢٢.

(١١٢)ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٩/ ١٢٨؛ والتحرير والتنوير: ٢٨٩/٢٧.

(١١٣)سورة البقرة: الآية :٢٥٣.

(١١٤)ينظر: تفسير الخازن : ١٨٧/١؛ والبحر المحيط: ٦٠٢/٢.

(١١٥)المعجم الكبير للطبراني: باب (حسن بن علي بن ابي طالب يكنى بأبا محمد)، رقم الحديث : (٢٦٧٥): ٥٦/٣.

(١١٦) ينظر: بحر الفوائد : ٢٠٥/١.

(١١٧)سورة التوبة: الآية: ٢٠.

(١١٨)ينظر: تفسير الثعلبي: ٢٠/٥

(١١٩)سورة النساء: الآيات: ٩٥– ٩٦.

(١٢٠)ينظر: تفسير المنار: ٤٩٦/٩.

(١٢١)مسند احمد، مسند (انس بن مالك رضي الله عنه) ، رقم الحديث : (١٣٨١٢) : ٣١٩/٢١.

(١٢٢)سورة آل عمران: الآية : ١٦٢– ١٦٣.

(١٢٣)ينظر: تفسير الماتريدي: ٥٠٢/٢؛ وفتح البيان في مقاصد القران .

(١٢٤)ينظر: زهرة التفاسير : ١٤٨٨/٣

(١٢٥)سورة البقرة: الآية :٢٠٧.

(١٢٦)ينظر: زهرة التفاسير: ٦٤٦/٢.

(١٢٧)سورة التحريم: الآية : ١١.

(١٢٨)ينظر: تفسير الثعلبي: ٣٥١/٩.

(١٢٩)مسند احمد : مسند (عبد الله بن العباس بن عبد المطلب) رقم الحديث: (٢٦٧٥) : ٥٦/٣.

(١٣٠)سورة الحديد: الآية : ١٠.

(١٣١)ينظر: باهر البرهان في معاني مشكلات القران : ١٤٦٧/٣.

(١٣٢)ينظر: لطائف الاشارات : ٣٥٣٦.

المصادر والمراجع:

القران الكريم

١. أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ناصرالدين أبوسعيد عبدالله بن عمربن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)تحقيق: محمدعبدالرحمن المرعشل ي ،داراحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ .

٢. باهرالبرهان فى معانى مشكلات القرآن: محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي،أبوالقاسم ،الشهيربـ (بيان الحق) (المتوفى: بعد ٥٥٣هـ): سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي: جامعةأم القرى،١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٣. بحر العلوم: أبوالليث نصربن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت٣٧٣هـ) تحقيق: د.محمود مطرجي، دارالفكر – بيروت، د.ت .

٤. بحرالفوائد المشهوربمعاني الأخبار : أبوبكرمحمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: ٣٨٠هـ) ،تحقيق: محمدحسن محمد حسن إسماعيل – أحمدفريد المزيدي،دارالكتب العلمية – بيروت / لبنان،ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٥. البحر المحيط في التفسير: أبوحيان محمدبن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثيرالدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دارالفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ .

٦. تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت .

٧. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(ت: ١٢٨٤)، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م .

٨. التسهيل لعلوم التنزيل: أبوالقاسم ،محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله ،ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)،تحقيق: الدكتورعبدالله الخالدي، شركة دارالأرقم بن أبي الأرقم – بيروت،ط١ – ١٤١٦ هـ.

٩. تفسيرابن باديس ((في مجالس التذكيرمن كلام الحكيم الخبير)) :عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ) ،تحقيق:علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين،دارالكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

١٠. تفسير ابن عرفة: محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبوعبدالله (ت: ٨٠٣هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دارالكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

١١. تفسيرالخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل :علاءالدين علي بن محمدبن إبراهيم البغدادي الشهيربالخازن،دارالفكر – بيروت / لبنان، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.

١٢. تفسيرالراغب الأصفهاني:أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق:د. محمد عبدالعزيز بسيوني ،كلية الآداب – جامعة طنطا ، ط١: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

١٣. تفسيرالقرآن الحكيم (تفسيرالمنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلاعلي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٤. تفسيرالماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود ،أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دارالكتب العلمية – بيروت، لبنان ،ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م .

١٥. التفسيرالمنيرفي العقيدة والشريعة والمنهج ، دوهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكرالمعاصر – دمشق ،ط٢، ١٤١٨ هـ .

١٦. التفسيرالوسيط للزحيلي : د. وهبة بن مصطفى الزحيلي،دارالفكر – دمشق ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ .

١٧. تفسيرمقاتل بن سليمان : أبوالحسن مقاتل بن سليمان بن بشيرالأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ) ، تحقيق: عبدالله محمود شحاته، داراحياء التراث – بيروت،ط١ – ١٤٢٣ هـ.

١٨. تنويرالمقباس من تفسيرابن عباس ، لعبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ)،جمعه: مجدالدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)،دارالكتب العلمية – لبنان.

١٩. التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ .

٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي(ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ .

٢١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م.

٢٢. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ . ١٩٦٧م.

٢٣. جمهرةاللغة :أبوبكرمحمدبن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منيربعلبكي، دارالعلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٢٤. الجواهرالحسان في تفسيرالقرآن : أبوزيدعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمدعلي معوض والشيخ عادل أحمدعبدالموجود ،داراحياء التراث العربي – بيروت ،ط١ ١٤١٨ هـ .

٢٥. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمدعلي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، تحقيق :خليل مأمون شيحا،دارالمعرفة للطباعة والنشروالتوزيع،بيروت– لبنان ط٤، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

٢٦. روح البيان : إسماعيل حقي بن مصطفىالإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبوالفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ،دارالفكر – بيروت.

٢٧. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: محمد بن أبي بكربن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،دارالكتب العلمية – بيروت.

٢٨. زهرة التفاسير: محمدبن أحمدبن مصطفى بن أحمدالمعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دارالفكرالعربي ، د.ت .

٢٩. سنن ابن ماجه : ابن ماجةأبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني ،وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤادعبد الباقي، دارإحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .

٣٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٣١. السنن الكبرى : أحمدبن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ،أبوبكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ، دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٣٢. شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمدالعثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)،دارالوطن للنشر،الرياض، ١٤٢٦ هـ .

٣٣. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت ٢٥٦هـ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.

٣٤. العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادرالجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ، تحقيق: خالد بن عثمان السبت ، دارعالم الفوائد للنشروالتوزيع،مكةالمكرمة، ط٢ ١٤٢٦ هـ .

٣٥. العين ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)،تحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال

٣٦. غاية الأماني في تفسيرالكلام الرباني: أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني ،شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (المتوفى: ٨٩٣هـ)من أول سورة النجم إلى آخرسورة الناس ،تحقيق: محمدمصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه)، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٣٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري:أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٣٨. فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق بن حسن القنوجي ابو الطيب (ت١٣٠٧هـ)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ–١٩٩٢م.

٣٩. الفروق اللغوية :أبوهلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمدإبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة للنشروالتوزيع،القاهرة – مصر.

٤٠. في ظلال القرآن: لسيد قطب،دار إحياء التراث العربي،بيروت– لبنان، ط٧، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

٤١. فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمدالمدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى : ١٠٣١هـ)، المكتبة التجاريةالكبرى – مصر

٤٢. كشف المشكل من حديث الصحيحين : جمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمدالجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ،تحقيق: علي حسين البواب ، دارالوطن – الرياض .

٤٣. الكشف والبيان : أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، (ت:٤٢٧هـ)، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠٢م .

٤٤. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية:أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي،أبو البقاءالحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)،المحقق: عدنان درويش – محمد المصري،مؤسسة الرسالة – بيروت

٤٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، (ت ٧٥٠هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت .
٤٦. لطائف الاشارات: عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئةالمصرية العامة للكتاب– مصر، ط٣، د.ت .
٤٧. المحررالوجيز في تفسيرالكتاب العزيز:أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دارالكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ط١ .
٤٨. المحكم والمحيط الأعظم، أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبدالحميدهنداوي، دارالكتب العلمية – بيروت –، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٩. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥ – ١٩٩٥ .
٥٠. المخصص: أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، داراِحياء التراث العربي – بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٥١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد ،أبوالحسن نورالدينا لملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دارالفكر، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٥٢. المستدرك على الصحيحين للحاكم: أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: أبوعبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دارالحرمين،القاهرة – مصرسنةالطبع: ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م .
٥٣. مسندأبي داود الطيالسي: أبوداود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ) ، تحقيق: الدكتورمحمد بن عبدالمحسن التركي ، دارهجر – مصر، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.
٥٤. مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت .
٥٥. المسندالصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبوالحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤادعبدالباقي، داراِحياء التراث العربي – بيروت.
٥٦. المصباح المنيرفي غريب الشرح الكبير: أحمدبن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ،أبوالعباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)،المكتبة العلمية – بيروت.
٥٧. مصنف ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي أبو بكر، (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كما يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ .
٥٨. المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ،ت: ٣٦٠ هـ
٥٩. معجم اللغة العربية المعاصرة :د أحمد مختار عبدالحميدعمر (المتوفى: ٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب ،ط١ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٦٠. المعجم الوسيط: مجمع اللغةا لعربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبدالقادر / محمد النجار)،دارالدعوة .
٦١. معجم لغة الفقهاء: د محمد قلعجي ،دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع شارع فردان – بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
٦٢. مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – لبنان، ط١، عام ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٦٣. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (ت ٤٢٥هـ)، ضبط : هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٨م.
٦٤. النكت والعيون: أبو الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي(ت ٤٥٠هـ)، الكويت،ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .